طبع في دار النفائس ص.ب ١١/٦٣٤٧ هاتف: ٨١٠١٩٤ - بيروت

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا - في الغالب - العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب . فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص . مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع . والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحضّت عليها .


بالفخر الكبير . نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .

صدر من

« المغامرون الأذكياء »

١ - واحة الأشباح
٢ - العصابة الخفية
٣ - بائعة الورد
٤ - خمسة جنيهات ذهبية
٥ - بيت الأسرار
٦ - سجين القلعة
٧ - سر العصافير
٨ - الكنز الاغريقي
٩ - تاجر المجوهرات
١٠ - عش الثعلب
١١ - مغامرة في الصحراء
١٢ - بائع الناي
١٣ - رسول منتصف الليل
١٤ - المهرب المجهول
١٥ - السجين الهارب
١٦ - القصر المهجور
١٧ - الكرة الحمراء
١٨ - مروض الحيات
١٩ - المجوهرات العائمة
٢٠ - منزل من ذهب
٢١ - المنطاد الأسود
٢٢ - الانتقام الرهيب
٢٣ - العناكب الحمراء
٢٤ - الطائرة المنقضة
٢٥ - رسالة لمجهول
٢٦ - الحقيبة السوداء
٢٧ - السبائك المزيفة


BLUE
BIRD
Scan By : M.Raafat & Rabab



Arab Comics.net
و بلـو بيرد
عرب كوميكس
M.Raafat
تحيا مصر



عش الثعلب
سلسلة
المغامرين الاذكياء
١٠
دار الثقافة



المغامرون الأذكياء

عُشُّ الثَّعْلَبْ

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
الدكتور بكري شيخ أمين

دار النفائس

الطبعة الثالثة

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

© دار النفائس

بيروت - ص.ب: ١١/٦٣٤٧ - هاتف: ٨١٠١٩٤ - برقيا: دانفايسكو

أسطورة الكهف

ما كادت الشمس ترسل أول خيوطها الذهبية حتى كانت السيارة جاثمة أمام باب الڤيلا بهدوء تنتظر المغامرين لتحملهم في رحلة بعيدة إلى وادي الرياح .

كانت سيارة قوية ذات إطارات عريضة لتمكنها من السير فوق الرمال الناعمة الرجراجة . وقد زودت بكل ما يحتاج إليه المرء في أمثال هذه الرحلات الصحراوية ، من إطارات إضافية ، ومياه عذبة للشرب ، وكمية كافية من الوقود ، وأدوات مختلفة تكفي لمواجهة أي طارىء .

كان المفتش جميل يتناول قهوته في الشرفة مع زوجته سعاد . فما كاد يرى السيارة تقف أمام الباب الخارجي حتى صاح يعلن ذلك إلى خالد ورفاقه الذين كانوا في الداخل .

أسرع المغامرون إلى نقل متاعهم وزادهم إلى السيارة المنتظرة في الخارج . وكان أسرع الجميع ، وأكثرهم نشاطاً وخفة هو « سرور » الذي بدا سعيداً بهذه الرحلة المزْمَعَة .

وكأنما خافت الحيوانات الثلاثة ألاّ يبقى لها مكان في السيارة ، فاتخذ كل منها مكاناً له قبل وصول أعضاء الفرقة الآخرين ، فجلس سرور

إلى جوار « فينو » في المقعد الخلفيّ ، ووقف بينهما « فصيح » ينادي :

ـ يا خالد !! يا ليلى !! يا عصام !!

ضحك خالد الذي كان آنئذٍ يجتاز الحديقة ، ورفع رأسه نحو والديه وقال :

ـ لقد نفد صبر سرور فيما يبدو .. إلى اللقاء يا ماما .. إلى اللقاء يا بابا ..

قال المفتش موجهاً حديثه إلى السائق :

ـ احترس يا شعبان .. وحاذر أن تقترب بهم من « عش الثعلب » ..

نظر بعضهم إلى بعض في دهشة واستغراب . وقال خالد مستفسراً :

ـ عش الثعلب .؟ ما معنى ذلك يا بابا ؟

أجاب والده في لهجة حاسمة :

ـ سأشرح لكم ذلك بعد عودتكم .. أما الآن فيكفي أن أحذركم من هذا المكان .. احترس يا شعبان كما أوصيتك ..

أجاب السائق الأعرابي الذي كان إلى جوار السيارة :

ـ كن مطمئناً يا سيدي .. فلا أحَدَ يجرؤ على الاقتراب من عش الثعلب ..

ازداد فضول الرفاق ، ولكنهم اضطروا إلى السكوت مرجئين السؤال إلى ما بعد العودة ، فلوّحوا بأيديهم مودعين ، وانطلقت بهم السيارة ، ونظرات المفتش جميل وزوجته تلاحقها حتى اختفت .

وحين صار الزوجان في الداخل قالت السيدة سعاد وهي تجلس في مواجهة زوجها :

- ما معنى عش الثعلب يا جميل ؟ أنا لم أسمع أبداً أن للثعلب عشاً . .

ضحك المفتش وقال :

- هذا حق . . فبيت الثعلب يسمى « وجاراً » لا « عشاً » . . إنما العش للعصافير وما أشبهها . .

- إذن ما سرّ هذه التسمية ؟

أشعل المفتش سيكارة ، وأخذ منها نَفَساً ، وقال :

- إنها أسطورة من الأساطير القديمة نسجت حول هذا الاسم الغريب الذي أطلق على أعجب قمة جبل في منطقة وادي الرياح .

سألته مستغربة :

- وهل بوادي الرياح جبال يا جميل ؟!

هز رأسه نفياً ، وقال :

- ليست جبالاً بالمعنى الصحيح . . هناك هضبة عالية قائمة وحدها وسط الوادي الفسيح . وعلى هذه الهضبة يطلقون اسم عش الثعلب .

قالت وكأنها عادت طفلة :

إذن قصّ عليّ هذه الأسطورة . .

ضحك المفتش لفضولها وإلحاحها ، وقال :

- ولماذا لا تنتظرين سماعها مع الأولاد عند عودتهم في المساء ؟

قالت بإصرار :

- لا . . لن أنتظر . . قُصَّها عليّ . . واترك لي أن أقصها أنا عليهم . .

ضحك من إصرارها الطفولي ، وقال يداعبها :

ـ إذن هاتي فنجاناً آخر من القهوة ، فإن الأسطورة طويلة . .

وفي أقل من دقيقتين كان فنجان القهوة موضوعاً أمامه ، والسيدة سعاد ترمقه بنظرات متلهفة .

تجاهل المفتش لهفة زوجته المحتدمة ، وأخرج ببطء مُتَقَصَّد سيكارة من علبته ، وأشعلها ، وامتص منها بضعة أنفاس ، ثم قال أخيراً :

ـ سؤال واحد أود توجيهه إليك . .

نظرت إليه بعينيها الجميلتين ، وقالت :

ـ أعرفه . . هل تريد أن أقوله لك ؟

وبدت الدهشة مرتسمة على أساريره وهو يسألها :

ـ أحق ما تقولين ؟ . . إذن هاتي لنرى . .

عندئذ تصنعت الجد في هيئتها ، ومضت تقول مقلدة صوت زوجها :

ـ لماذا يا سعاد تستغربين من ابنك خالد حبه للمغامرة . ؟

قاطعها مقهقهاً وقال :

ـ هذا بالضبط ما كنت سأقوله . . وها أناذا أسألك : لماذا اذاً تستغربين منه حبه للمغامرة ؟ ألا تَرَيْنَ أن ذلك قد ورثه مني ومنك ؟

قالت تسأله :

ـ وكيف ذلك ؟ .

أجابها :

ـ أنا أحب المغامرة بحكم عملي في الشرطة ، أما أنتِ فالظاهر أن حبك لها أمر وراثي . .

نظرت إليه باسمة وقالت :

ـ وراثي ؟! ولكن لم يكن أبي ضابط شرطة ، ولا كان جدي كذلك . .

أجابها مؤكداً :

ـ ربما كان أحد أجدادك الأبعدين . وعلى كلٍ لا يمكنك أن تنكري أن حبك للمغامرة يفوق حب ولدك لها . .

قالت وقد بدا عليها نفاد الصبر :

ـ دعنا من ذلك . . ولا تحاول أن تصرفني عن الموضوع . . ما قصة عش الثعلب هذه . ؟

وبدا أن المفتش قد اكتفى بهذا القدر من إثارتها وتعذيبها ، فقال مستجيباً لها :

ـ إنها ـ كما قلت لك ـ أسطورة . . ولكنها أسطورة بنيت على بعض الحقائق التاريخية والجغرافية . . فكما تعلمين ،تُعَدُّ منطقة وادي الرياح من أشد مناطق القطر جفافاً ووحشة . . ولكن العناية الالهية لم تشأ أن تحرمها من كل خير ، ففجرت في بقعة منها عيناً يخرج منها ماء قليل لا يكفي لإقامة حياة زراعية مزدهرة ، وإن كان فيه بعض الفائدة للبدو الرحل الذين يمرون بذلك الوادي الموحش ، فيشربون منه ، ويتزودون بما يكفي في رحلتهم .

وأغرى المكان بوحشته بعض الرهبان ، فبنوا حول النبع ديراً ،

واتخذوه منسكاً لهم يتعبدون الله فيه بعيداً عن زخرف الحياة ومغرياتها الدنيوية ، أما البدو فقد اتخذوا من هذا الدير محطة لهم في رحلتهم ، فهم يقصدونه كلما مروا به للتزود بما يحتاجون إليه من ماء ومؤ ن .

وتقول الأسطورة إن أحد الرهبان قد طغى عليه حب العزلة حتى هجر الدير ، واعتكف في رأس التل المجاور للعبادة والتأمل . ووجد شوعا - وهذا هو اسمه - كهفاً في أعلى التل يصلح أن يكون كالصومعة له ، فنقل إليه حاجاته اليسيرة من الدير ، واقام فيه لا يبرحه إلا ليتزود من الدير بحاجته المتواضعة من الماء والطعام .

وكأنما شاء الله أن يهيء لهذا الناسك أسباب العزلة الكاملة ، فأرسل عليه السماء مدراراً مدة ساعات عشر ، حتى سال الوادي وامتلأت الغدران بالماء العذب الزلال . وكان في ناحية قريبة من الكهف حفرة صخرية كبيرة ، كأنها حوض هيأته الطبيعة لأمر يريده الله ، فملأت الأمطار الغزيرة هذا الحوض ، حتى صار كبحيرة صغيرة معلقة في أعلى التل .

وانتهز شوعا هذه الفرصة ، فزرع حول كهفه بعض النباتات التي يمكنه أن يتغذى بها ، وراح يسقيها من الماء الذي كان يحمله لها من الحوض ، وربى عنده دجاجات كانت تمده بما يحتاج إليه من بيض . وهكذا استغنى شوعا نهائياً عن الدير . واعتزل البشر ، وانقطع للعبادة ، فلم يعد أحد يراه .

وتقول الأسطورة إن ثعلباً ماكراً اهتدى ذات ليلة باردة إلى كهف

الراهب وهو يبحث عن مكان دافىء يلتجىء إليه . ولكن الثعلب لم يجد عند الراهب الدفء الذي كان يبحث عنه فقط ، بل وجد أيضاً الطعام الوفير في دجاجات الراهب السمينة . وكان طبيعياً ألاّ يكتفي بما أصاب في تلك الليلة من مبيت دافىء وطعام شهي ، بل طمع في أكثر من ذلك ، فأقام في جحرٍ قريب من الكهف ، وراح ينكب الراهب المسكين بواحدة من دجاجاته السمينة في كل ليلة .

ولاحظ الراهب تناقص دجاجاته يوماً بعد يوم ، فقرر أن يراقبها ليكشف سر هذا التناقص .

وعند حلول الظلام كَمَنَ غير بعيد من حظيرة الدجاج ، وأمسك بيده عصاه ، وراح ينتظر . وبعد أن مضى هزيع من الليل سمع خطوات الثعلب وهو يتلصص ، ثم رآه وهو يقتحم الحظيرة ، ويخرج منها وفي فمه إحدى الدجاجات .

عرف الراهب سر اختفاء دجاجاته . ولكنه لشدة رأفته لم يحاول معاقبة الثعلب المعتدي ، بل اكتفى بالبكاء . فبكى طويلاً حتى سها عن صلاته . فهبط عليه مَلَكٌ من السماء ، وسأله عن بكائه ، وعما شغله عن صلاته ونسكه ، فشرح له الراهب الأمر عن حقه ، فأبلغه الملك أن الله سينزل عقابه بالثعلب ، وسيمسخه طائراً تهدده الثعالب وسباع البرية .

وفي الصباح يستيقظ الراهب ، فيجد الثعلب قد مُسِخَ إلى طائر ، وغدا له جناحان ، وهو يمرح بين الدجاج ، ويحاول بصعوبة التقاط الحب الذي أصبح الآن غذاءه كسائر الطيور .

ويقنع الراهب بهذا العقاب العادل ، ويزول ما كان في صدره على الثعلب ، بل إنه يعطف عليه ، ويوليه حبه وحنانه ، ويغدو الخصمان مع الأيام صديقَيْنِ حميمَيْنِ .

وذات مساء مات الراهب وهو نائم في فراشه ، فظل الثعلب إلى جواره لا يفارقه . وراح يبكي عليه وينتحب حتى الصباح . وفعل مثل ذلك في الليلة التالية . ثم استمر على ذلك سائر الليالي .

وتقول الأسطورة إن نحيب الثعلب على صاحبه كانت تتردد أصداؤه بين جنبات الوادي في كل ليلة ، وإن المارة سمعوه بأنفسهم اكثر من مرة .

كانت السيدة سعاد تصغي إلى زوجها كالمسحورة . فلما سكت قالت تستحثه :

ـ وماذا كان من أمر الثعلب بعد ذلك ؟

ضحك المفتش لفضولها وشغفها وقال :

ـ كأنك صدقت القصة ونسيت أنها أسطورة . !

أجابته وهي تغالب شوقها لسماع النهاية :

ـ لم أظن قط أنها حقيقة . . ولكني أسألك عن مصير الثعلب كما جاء في الأسطورة .

أجابها باقتضاب :

ـ تقول الأسطورة إنه ظل على ذلك مائة عام . ثم إن رهبان الدير صعدوا إلى الكهف ، فوجدوا جثمان الراهب الميت كما كان ليلة مات ، لم يتغير ولم يستحل ، فحملوه فدفنوه . فأما الثعلب فإنه بقي في المكان

لا يبرحه ، وفاء لصاحبه الراحل . فهو ينام في الكهف كل النهار ، فإذا جاء المساء طار باحثاً عن رزقه .

قالت السيدة سعاد تستفسر :

ـ ألم يمت هذا الثعلب بعد مائة عام ؟

أجاب المفتش :

ـ تقول الأسطورة إن الله حكم عليه لزيادة شقائه أن يعيش حتى نهاية البشرية .

قالت السيدة سعاد مأخوذة بسحر الأسطورة :

ـ يا لها من قصة ! فبالرغم من بعدها عن كل معقول ، تشد سامعها ، وتورثه شعوراً غريباً بغموض الحياة والموت .

نهض المفتش جميل قائلاً :

ـ والآن استعدّي . . فسنذهب إلى زيارة شقيقي لتهنئتهم بالمولود الجديد .

ونهضت هي ايضاً ، وقالت وسحر الأسطورة لا يزال مستولياً عليها :

ـ يا لها من أسطورة جميلة . ! تخيّل ثعلباً يطير . .

ضحك المفتش جميل وقال :

ـ إنها أسطورة كغيرها من الأساطير . . خرافة لا حقيقة لها اخترعتها ولا ريب مخيلة العجائز لتسلية الصغار بها .

ومضت السيدة سعاد لترتدي ثيابها تأهباً للزيارة المرتقبة ، بينما راح المفتش يمضي الوقت بتدخين سيكارته . وفجأة رن جرس الهاتف ، فرفع

السماعة إلى أذنه وراح ينصت . . وبعد لحظات قال بايجاز :

ـ سأحضر في الحال يا سيدي . . دقائق فقط وأكون عندكم .

ووضع السماعة كاسف البال وقال يخاطب زوجته التي عادت لتوها :

ـ سأوصلك إلى بيت شقيقي ، ثم أتركك هناك إلى أن أعود إليك بعد الانتهاء من هذه المهمة الطارئة . .

قالت كمن اعتاد ترديد كلام دون أن يعني حروفه :

ـ وما هي هذه المهمة الطارئة الجديدة ؟

أجابها وهو يتهيأ للانصراف :

ـ أبلغني قاضي التحقيق أنهم عثروا على جثة شاب مجهول في سيارة قرب المحطة الصحراوية .

قالت السيدة سعاد وقد بدا عليها الانزعاج :

ـ أليس في الشرطة كلها ضابط غيرك يتولى التحقيق في هذه القضية ؟!

أجابها محاولاً أن يسوّغ الأمر :

ـ قالوا إن القضية يكتنفها شيء من الغموض ، فبعد معاينة الجثة وجدت آثار أنياب وحش على العنق .

وبدا الاهتمام الآن عليها وهي تقول مستغربة :

ماذا تقول . . وحش يقتل شاباً داخل سيارته ؟

أجابها في لهجة من اعتاد أمثال هذه البلاغات الغريبة :

ـ لا ريب أنها آثار اختلطت على الضابط الشاب المبتدىء ، فصور له خياله أنها آثار لأنياب وحش ، فأثبت ذلك في محضره .

وكأن السيدة سعاد لم تقنع بتفسير زوجها ، فعادت تقول مستغربة :
ـ مهما شطح الخيال بالضابط الغرّ ، فلا يمكن أن يتخيل شيئاً لا أساس له من الواقع . . لا بد أن في الأمر شيئاً يا جميل . !

قال المفتش وقد بدا عليه الضيق من فضول زوجته :
ـ يا سعاد أرجوك .! هل تظنين أننا بهذا النقاش نستطيع حل القضية ؟ لماذا يستدعونني اذا كنت أستطيع وأنا في منزلي أن أحل كل غامض ؟ أرجوك . . أسرعي . . وسأنتظرك في السيارة . .

وترك زوجته تكمل استعدادها ، ومضى هو إلى المرآب ، فأخرج السيارة ، ووقف بها أمام باب الڤيلا .

ولم يطل انتظاره كثيراً ، فقد اقبلت السيدة سعاد ، وفتحت باب السيارة ، وجلست إلى جانبه ، فأدار المحرك ، وانطلق قُدُماً نحو بيت شقيقه .

قالت السيدة سعاد تقطع الصمت الذي ران عليهما مسافة طويلة من الطريق :
ـ جميل . . ما بك صامتاً كأنه لا أحَدَ معك في السيارة ؟

ابتسم معتذراً وقال :
ـ آسف يا حبيبتي . ! كنت أفكر في هؤلاء الضباط الأغرار الذين يهولون الأمور ليظهروا بمظهر الأذكياء . . ولا يدركون أن التحقيق الجنائي الحقيقي شيء ، وروايات شرلوك هولمز وغيره شيء آخر .

ـ لعلك أضمرت في نفسك شيئاً ضد هذا الضابط المسكين ؟

ـ وماذا تريدين أن أفعل له ؟ هل أذهب إليه وأقبّله مكافأة له على غيابه الذي قطع عليّ ساعات راحتي ؟!

قالت السيدة سعاد تواسيه :

ـ لا تكن شديد القسوة عليه . . فربما كان معه جانب من الحق .

تمتم كمن هو مضطر إلى الموافقة :

ـ ربما . .

وكانا قد وصلا إلى بيت شقيقه ، فأوقف السيارة ، وفتح لها الباب قائلاً :

ـ اعتذري لهم عن غيابي . . وسأحاول العودة بأسرع ما يمكن لاصطحابك الى المنزل .

سألته وهي تنزل من السيارة :

ـ حتى متى انتظرك ؟

نظر إلى ساعته وقال :

ـ حتى السادسة . فإذا لم أرجع بعدها ، فعودي وحدك الى المنزل لتكوني فيه عند عودة الأولاد من رحلتهم .

استجواب

وصل المفتش جميل إلى مكتبه حيث كان ينتظره مساعده النقيب ماهر ، ومعه ضابط شاب برتبة ملازم ثانٍ .

هب الضابطان من مجلسيهما ، ورفعا أيديهما نحو رؤوسهما في تحية عسكرية للمفتش الكبير الذي ردّ التحية بإشارة من رأسه وهو في طريقه نحو مكتبه .

وعندما استقر به المجلس خلف المكتب ، أشار إليهما بالجلوس فجلسا ، وراح يتأمل الضابط الشاب الذي جلس صامتاً ينتظر أن يبدأه المفتش بالكلام .

تناول المفتش جميل تقرير الضابط الذي كان أمامه على المكتب ، وراح يلتهم بنظره صفحاته التي لم تكن كثيرة . ثم رفع رأسه وعاد إلى تأمل الضابط الذي ظل متمسكاً بصمته في أدب جم .

لقد بدا الضابط لعيني المفتش في غير الصورة التي كونها له في مخيلته وهو في السيارة . فهو يبدو الآن شاباً هادئاً رزيناً مع ثقة بالنفس متواضعة .

وهش في وجهه وهو يقول له :

ـ هل لك أن تعيد عليّ ما كتبته في تقريرك يا أسعد ؟
أجاب الضابط الشاب بصوت عميق لا يتلاءم مع صغر سنه :
ـ ابلغْنا بالعثور على شاب مقتول داخل سيارة في طريق وادي الرياح . . فلما ذهبت وعاينت الحادث لاحظت عدة أشياء غير طبيعية .
سأله المفتش مشجعاً :
ـ مثل ماذا يا أسعد ؟
أجاب أسعد قائلاً :
ـ وضع الجثة مثلاً . . كانت الجثة في وضع يدل على أنه لم يقتل في السيارة ، بل قتل خارجها ، ثم نقل بعد موته فوضع في السيارة .
سأله المفتش وقد بدأ يعجب بالثقة التي كان يتحدث بها :
ـ وما دليلك على ذلك ؟
وكأن الضابط كان ينتظر هذا السؤال ، فقال من فوره :
ـ أولاً ، لم أجد أثراً لأي دم داخل السيارة مع أن القتيل نزف نزفاً شديداً قبل موته بسبب الجراح العميقة الغائرة في عنقه ، كما أن دماءه المتجمدة قد لطخت ثيابه كلها .
هز المفتش رأسه موافقاً على هذا الاستنتاج الصحيح ، وغمغم قائلاً :
ـ استمر . .
استأنف الملازم أسعد يقول :
ـ وعندما بحثنا حول السيارة عن آثار تهدينا في التحقيق عثرت على حلقة مفاتيح السيارة . . كانت ملوثة بالدماء ، تكاد تطمرها الرمال على بعد حوالي عشرة أمتار من موقف السيارة .

ازداد اهتمام المفتش بحديث الضابط الشاب وقال :

- هل عثرت على آثار أخرى حول مكان حلقة المفاتيح ؟

أجاب الملازم في هدوء :

- نعم يا سيدي . . كانت آثاراً لأقدام انسانية ، وقد اختلطت بآثار لقوائم حيوان . .

قاطعه المفتش في استغراب :

- وهل أمكنك تحديد نوع الحيوان الذي هي له ؟

أجاب بثقة :

- إنها تشبه أن تكون آثاراً لقوائم كلب ، ولكنها أضخم كثيراً . . إلا أن ما يثير الاستغراب حقاً هو أن آثار القائمة الخلفية اليسرى تدل على أن الحيوان كان ينقصه في هذه القائمة إصبعان .

ازداد إعجاب المفتش بدقة ملاحظة الملازم ، فقال له :

- وهل أخذتم قالب جبس لهذه الآثار يا أسعد ؟

أجاب وهو يشير إلى غلاف فوق المكتب :

- نعم يا سيدي . . وفي هذا الغلاف صور واضحة أعدها المعمل الجنائي لطبعات القائمتين اليمنى واليسرى . .

أخرج المفتش الصور من الغلاف ، وفحصها بإمعان . . لقد أصاب أسعد في كل استنتاجاته . . فالقدم اليمنى كانت كاملة الأصابع ، أما اليسرى فكان ينقصها إصبعان متجاورتان .

وضع المفتش الصور مكانها ثم سأل أسعد :

ـ وآثار الأقدام . . هل أخذتم لها قوالب أيضاً ؟

هز الملازم رأسه بأسف وقال :

ـ كانت شديدة الاختلاط بحيث يصعب تمييز بعضها عن بعض .

وفكر المفتش برهة وعاد يقول :

ـ وَبِمَ تفسر ذلك يا أسعد ؟

أجابه من فوره وكأنه أعد الإجابة من قبل :

ـ تحليلي لذلك أن المجني عليه خاض معركة عنيفة مع القاتل ووحشه قبل أن يموت .

قال المفتش موافقاً :

ـ تحليل معقول . . ولا شك أن مكان حلقة المفاتيح لم يكن بعيداً عن مكان آثار الأقدام . .

هز الملازم رأسه وقال مستدركاً :

ـ بل في وسط الآثار نفسها . .

وسكت المفتش برهة يفكر ، ثم تابع الاستجواب قائلاً :

ـ قلت إن مكان الآثار يبعد عن السيارة بمقدار عشرة أمتار . . فكيف تفسر نقل المغدور من مكان قتله إلى السيارة دون أن يخلف الجناة أثراً في كل هذه المسافة؟

قال أسعد موضحاً :

ـ بل عثرت على ما أكد لي وجهة نظري في كيفية ارتكاب الجريمة . . لقد حمل الجاني ، أو الجناة ، المغدور ووضعوه في السيارة ، وعادوا

أدراجهم تاركين شريطاً على الرمال يدل دلالة واضحة على أنهم تعمدوا طمس آثار الأقدام بقطعة من القماش أرجح أنها ذلك الكيس الفارغ الذي عثر عليه ملقىً على الطريق العام .

سكت المفتش لحظات ثم قال :

ـ كل استنتاجاتك صحيحة ولا شك . . ولكنها تظل استنتاجات لا قيمة لها ولا فائدة إذا لم تسلك كلها في نظرية واحدة . . إن معرفتنا كيف حدث ما حدث لاقيمة لها إذا لم توصلنا إلى هدفنا وهو معرفة الجاني . . فهل كونت لنفسك نظرية عن هذه القضية ؟

قال الملازم الشاب :

ـ نعم يا سيدي . . أظن أن مرتكب الجريمة استخدم وحشاً في ارتكاب جريمته . .

قاطعه المفتش قائلاً :

ـ انك يا بني لن تستطيع الوصول إلى غريمك ما دمت حتى الآن تتكلم عن المجني عليه والجاني أو الجناة وكأنهم رموز رياضية . . عليك أولاً أن تعرف حقيقة المجني عليه ، وهذا أمر ميسور ما دامت جثته بين يديك ، فهل عرفتم من هو ؟ وما مشكلاته ؟ ومن أعداؤه ؟ ومن الناس المحيطون به ؟ ومن منهم يمكن أن يكون مشتبها به ؟ . .

وسكت الضابط الشاب كتلميذ فوجىء في الامتحان بسؤال لا يعرف جوابه . ولكن النقيب ماهر أسرع ينقذه من الموقف الحرج فقال موجهاً كلامه إلى المفتش :

ـ نعم يا سيدي . . إنه يدعى أحمد صالح . . وهو مهندس شاب ناجح ، ويملك مصنعاً حديثاً لصناعة الأفران الكهربائية .

سأله المفتش :

ـ هل قمتم باستجواب موظفيه وعماله وأقاربه ؟ وما نتيجة هذا الاستجواب إن كان قد حصل ؟

قال ماهر وهو ينظر في مفكرته الخاصة :

ـ أهم شيء في الإفادات الأولية التي حصلنا عليها هي أنه سحب من رصيده صباح يوم الحادث مبلغ عشرة آلاف دولار أمريكي . وعندما فتشت الجثة لم يعثر معه على أثر لهذه الدولارات .

قال الملازم أسعد وقد زايله أثر المفاجأة :

ـ وهذا أيضاً ضمنته تقريري : وقلت إن القتل تم بدافع السرقة .

تساءل المفتش :

ـ وأين يقع مصنع المجني عليه ؟

أجابه ماهر :

ـ في مدخل الطريق الجانبي المؤدي إلى وادي الرياح . .

نهض المفتش جميل من خلف مكتبه وقال : فلنذهب إلى المصنع لإلقاء نظرة . . . ولكن قبل أن نتحرك اتصل بفرقة الكلاب البوليسية ، واطلب منهم إرسال أحد الكلاب مع مدربه . . إني داخل على العميد لمقابلته ، وإذا حضر الكلب فأخبرني .

وغادر المفتش المكتب مشيعاً بنظرة احترام من الملازم الشاب الذي قال لماهر .

آمل ألا يكون السيد المفتش قد كون عني فكرة سيئة . !
قال ماهر يهدىء خواطره :
ـ لا بأس عليك منه . . إنه رجل سليم الطوية . . وظاهره لا ينبىء عن باطنه .



الفرقة تصطدم بالقضية

وصلت سيارة المغامرين إلى المحطة الصحراوية التي تقوم على أول الطريق المؤدي إلى وادي الرياح . وقرر الجميع التوقف بعض الوقت للاستراحة والاستعداد للرحلة الصحراوية الطويلة .

كانت المحطة تتألف من مضخة للبنزين ، ومطعم صغير يقدم للزبائن الطعام والحلوى والمرطبات والمشروبات المبردة .

وتجمعوا حول إحدى موائد المطعم ، وطلب كل منهم ما شاء . وبينما مضت المضيفة لإحضار طلباتهم راح خالد يقطع الوقت بالنظر إلى زبائن المطعم وتأمل جوانبه .

ولفت انتباهه شاب وفتاة كانا يجلسان إلى مائدة مجاورة ، وقد استغرقا في حديث غريب في موضوعه في مثل هذا المكان . سمع الفتاة تقول للشاب :

ـ لقد كان على موعد معي . . أقسم لك يا سليم أنه كان صادقاً في وعده ، ولكني فوجئت بما حدث .

قال لها الشاب بغضب :

ـ وهل يعلم أحد سواك بأنه كان يحمل هذا المبلغ ؟

وسمع خالد الفتاة تجيب :

ـ لست أدري يا سليم . . لقد اتصل بي مساء أمس هاتفياً ، وطلب مني انتظاره هنا في تمام السابعة صباحاً . . وقد اعترضت على الميعاد لأنه يضطرني إلى مغادرة المدينة في الخامسة صباحاً . . و . .

قاطعها الشاب بالسؤال :

ـ وما كان جوابه على اعتراضك ؟

قالت من فورها :

ـ لقد رفض وأصر على توقيته ، وقال إن هذا الوقت هو الوحيد الذي يلائمه ، لأنه مرتبط بمواعيد أخرى لا يستطيع إلغاءها .

وبدا الشاب كأنه يحاول أن يكظم غيظه ، ولكنه ما لبث أن فقد سيطرته على نفسه ، فانفجر يقول بغضب :

ـ معنى هذا أن المبلغ ضاع منا إلى الأبد .

قالت الفتاة تهون الأمر عليه :

ـ ولماذا ياسليم ؟ إن المستندات لا تزال في حوزتنا . . . ونستطيع عن طريق القانون أن نصل إلى حقنا . .

قال الشاب وهو يخرج كلماته من بين أسنانه في زمجرة مكبوتة :

ـ ألا تعرفين كم تستغرق المحاكمات من وقت ؟ والأدهى من ذلك أننا سنقاضي الآن ورثته . . ولا أظن أن الورثة سيسلمون بحقنا بالسهولة التي تتصورينها . . لا شك أن قاتله سلبه المبلغ . . ومن يدري ؟ فقد تكون تركته لا تفي بحقنا . .

لم يكد خالد يسمع كلمة « قاتلـه » حتـى استحـال كلـه إلى آذان صاغية ، وسمع الفتاة تقول :

- لابد أن تركته اكبر مما تظن . . لقد كانت أعماله ناجحة . . ومصنعه يدر عليه أرباحاً جيدة . . ثم ما يدرينا أن المبلغ قد سلبه القاتل ؟ أليس من الجائز أن يكون لا يزال في السيارة ، وأن الشرطة عثرت عليه ؟ دعنا نذهب الى الشرطة ونسأل . .

قاطعها الشاب مستنكراً :

- ألا يكفينا ما أصابنا حتى نزج بأنفسنا في مشكلة أخرى مع رجـال الشرطة ؟! هل تظنين أنهم سيتركوننـا نمضي بسـلام اذا عرفـوا علاقتنـا بالقتيل ؟

وبدت الحيرة على الفتاة وهي تقول :

- إذن ماذا نفعل ؟

أجابها بيأس وقنوط :

- لا شيء سوى العودة إلى المدينة وانتظار ما سيسفر عنـه التحقيق . وسنقرأ ذلك في الصحف .

قال هذا ونهض وهو يصفق مستدعياً المضيفة ، فلما جاءت هذه نقدها ثمن ما تناولاه ، ثم انصرف مسرعاً والفتاة في أثره .

استـدار خالـد ، وأخــذ يلاحقهما ببصره ، فرآهما يستقــلان سيارة بيضاء ، وعندما تحركت السيارة في اتجاه المدينة استطاع أن يلتقط رقمها الذي كان (٨١٨١) . وكان رقماً سهل الحفظ فلم يحتج إلى تدوينـه في مذكرته .



حديث غريب

التفت خالد إلى رفاقه وقال لهم :

ـ لقد كان حديثاً غريباً حقاً . .

قالت ليلى التي وصلت تواً من دورة المياه :

ـ لن يكون أغرب مما سمعت وأنا أغسل يدي . .

سألها خالد :

ـ وماذا سمعت أنت أيضاً ؟

أجابته بلهجة من يعرف قيمة ما يحمل من أخبار :

ـ كان حديثاً بين امرأتين محوره جريمة قتل حدثت هذا الصباح .

تمتم خالد دون أن يشعر :

ـ أنت أيضاً ؟ يظهر أنها الجريمة نفسها .

استرسلت ليلى تقول :

ـ قالوا إن أحد الجنود التابعين لخفر الحدود كان يمر بدراجته النارية حاملاً البريد عندما رأى سيارة تقف على جانب الطريق وبداخلها سائقها مقتولاً .

سألها عصام باستغراب :

ـ تقولين إن الحادث حدث هذا الصباح ؟

أجابه خالد :

ـ نعم . اليوم صباحاً . . لقد كان على موعد مع الفتاة التي رحلت الآن ، وكان من المتفق عليه بينهما أن يلقاها في الساعة السابعة ، وأن يدفع لها عشرة آلاف دولار أمريكي .

ازداد عجب عصام وقال :

ـ من أين أتيت بهذه المعلومات ؟ إنك لم تفارق المائدة منذ وصولنا .

ضحك خالد وقال :

ـ لقد سمعت الحديث الذي دار بين الفتاة ورفيقها . ويبدو أنه شقيقها أو خطيبها . المهم أن هدفاً واحداً يجمعهما .

سألته ليلى ضاحكة :

ـ ما الذي يحملك على الظن بوجود هدف مشترك بينهما ؟

أجابهم قائلاً :

ـ الأمر في غاية البساطة . . . لقد كان الشاب ثائراً يتحدث عن حق لهما ضاع بوقوع الجريمة . . والحق يتعلق بمبلغ من المال كان لهما في ذمة القتيل . . ولكن من أين لهما هذا الحق ؟ هذا ما لم أعرفه .

قال وليد وهو يتثاءب :

ـ ما لنا وللناس ؟ . دعونا ننصرف إلى رحلتنا . .

ضحكوا لعدم اكتراثه للأمر . وقال خالد باسماً :

ـ هذه أول مرة أوافقك فيها يا وليد . . نعم ، علينا أن نواصل رحلتنا ، فلا حاجة لنا إلى مزيد من المشاكل . . هيا بنا .

وانصرفوا إلى السيارة التي لم يفارقها سائقها شعبان . ولكن يبدو أن خبر جريمة الصباح كان محور كل الأحاديث بين العاملين في المحطة ، ذلك أن شعبان لم يكد ينطلق بالسيارة حتى قال :

ـ حادث غريب هذا الذي وقع . . يقول بعض عمال المحطة إن وحشاً هو الذي قتل راكب السيارة .

سأله خالد باستغراب :

ـ وحش .؟ أي خيال هذا ؟ لقد فهمت أنهم عثروا عليه داخل سيارته . فكيف يكون القاتل وحشاً ؟

أجاب السائق شعبان :

ـ هذا ما يقولون . . وقد ترددت إشاعات غريبة عن الموضوع . . ويبدو أن القوم بالغوا في تضخيم الحادث .

قالت ليلىٰ :

ـ ولكن أين وقع الحادث ؟ هل هو في طريقنا ؟

أجاب شعبان :

ـ نعم ، ويقولون إن السيارة لا تزال هناك بأمر المحققين . .

قال خالد شارحاً :

ـ هذا طبيعي . . فلا بد من انتظار النائب العام ليقوم بمعاينة مسرح الجريمة .

قالت ليلىٰ :

ـ اذا وصلنا إلى المكان فدعونا نتوقف لإلقاء نظرة ، فليس ذلك مما يتهيأ لنا كل يوم .

نظر إليها السائق شعبان عبر المرآة وقال مستغرباً :

ـ ألا تخاف الآنسة من الوقوف في مكان حدثت فيه جريمة قتل ؟!

أجابته باسمة :

ـ وماذا عسى أن يخيفني يا شعبان ؟

قال الرجل الطيب في بساطة :

ـ لست أعني الخوف . . أقصد أن الجنس الناعم ، كما يسمونكن، ينفرن من أمثال هذه المواقف .

ضحكت ليلى لحديث السائق شعبان ، ولكنها قالت تدافع عن بنات جنسها :

ـ كان مثل هذا القول ينطبق على المرأة في الماضي ، أما الآن فالمرأة تقوم بكل أعمال الرجل . . لقد صعدت إلى الفضاء ، وتعمل في كل ميدان بلا استثناء . . ولعل من المثير لعجبك أن تعلم أن مصلحة الطب الشرعي التي تقوم على تشريح الجثث نصف أطبائها من النساء .

بدت الدهشة الشديدة على وجه شعبان وقال في شك واضح :

ـ أحق هذا ؟ امرأة تقوم بتشريح جثة قتيل ؟!

تدخل خالد في النقاش وقال وهو يضحك :

ـ طبعاً يا شعبان . . ما الغريب في ذلك ؟

أجاب شعبان قائلاً :

ـ لا تضحكوا مني ؛ فسأقص عليكم نادرة حدثت في الحي الذي فيه بيتنا الصغير . . كان ذلك منذ سنتين عندما صدمت سيارة مسرعة أحد راكبي الدراجات . كان الحادث عادياً من تلك الحوادث التي تكثر في الأحياء الشعبية ، ولكن الذي يميزها بالنسبة لي فهي أنها وقعت أمام منزلنا . . وتعالى صياح المارة ، وتجمع الناس حول المصاب ، وحين وصلت سيارة الإسعاف وفحصته رفضت حمله لأنه كان قد فارق الحياة . وقبل ذلك كانت أم قاسم زوجتي قد شاهدت المصاب والدماء التي نزفت

منه . . فهل تعرفون ماذا جرى بعد ذلك ؟

أجابه وليد الذي يكره أمثال هذه القصص :

ـ وماذا يمكن أن يكون قد جرى . . حملوه بعد قليل . . رحمه الله رحمة واسعة ! ضحك الجميع لقوله ، واستأنف شعبان سرد قصته فقال :

ـ هذا صحيح ، فقد حملوه بعد ساعتين ، وتفرق الناس . ولكن أم قاسم ظلت تصرخ وتلطم وجهها ، ولم يفلح الجيران في تهدئة روعها ، فقد استولى عليها خوف جنوني . ولما عدت من الخارج وجدتها قد جمعت كل ملابسنا ومتاعنا وجلست تنتظر حضوري . . نظرت إلى ما فعلت وسألتها :

ـ ما هذا ؟

أجابتني كالمجنونة :

ـ ماذا ؟ أتسألني ما هذا ؟ إنه متاعنا . . لن أبيت في هذا البيت . . يجب ان نغادره من فورنا . .

صُدمْتُ بقرارها الطائش ، إذ كيف أترك بيتي وهو ملكي ؟ وإلى أين أذهب ونحن في أزمة مساكن خانقة كما تعلمون . فقلت لها :

ـ هل جننت يا امرأة .؟ كيف أترك بيتي وأخرج ؟ ولماذا ؟

أتدرون بماذا أجابتني ؟

قال عصام باسماً :

ـ لا شك أنها زعمت أن عفريت القتيل سيظهر في البيت . . أليس كذلك ؟

ضحكوا كلهم لهذا الكلام إلا شعبان الذي قال :
ـ هذا ما قالته حقاً . . وكاد الأمر ينتهي بطلاقها .
سألته ليلى ضاحكة :
ـ وماذا فعلت ؟
أجابها :
ـ أصرت على المغادرة ، وأصررت على البقاء . . وتدخل الجيران والأقارب ، وتوصلنا إلى حل وسط ، وهو أن تذهب مع الأولاد فتقيم بضعة أيام عند والدها حتى يصرف المشايخ العفريت . .
ضحكت ليلى حتى استغرقت ، ثم قالت :
ـ يصرفون العفريت .؟ ما هذه الخزعبلات .؟
قال لها خالد :
ـ هذه ، ويا للأسف ، واحدة من التقاليد والعادات البالية ، والخرافات التي لا تزال تعيش في بعض طبقات الشعب الجاهلة .
سأله وليد وقد استهوته القصة :
ـ وماذا فعلت ؟ هل صرفتم السيد العفريت ؟
ضحك السائق شعبان وقال :
ـ وماذا كان بوسعي عمله .؟ أخرب بيتي أو أخضع للأمر الواقع . . توسط الجيران في الأمر ، وأحضروا بعض المشايخ الذين يقرؤون في المقابر ، ولكنهم من الجهلة الغشاشين ، والذين لا يحفظون من القرآن الكريم إلا بعض الآيات ، ومع ذلك لا يقرؤونها بصورة صحيحة . . المهم أنهم أمضوا الليل كله يأكلون ويشربون الشاي ، وفي خلال ذلك

يتجمعون في حلقة ، ويتمتمون بكلام غير مفهوم ، أما أنا فقد خسرت نقودي ، وحرمت من أسرتي ، ولم نرَ أثراً للعفريت .

كان الضحك قد استولى عليهم من حديثه المرح وسرده اللطيف ، وقالت ليلى :

ـ وبعد ذلك ؟ هل عادت أم قاسم ؟

ضحك شعبان وقال :

ـ نعم . عادت . ولكن بعد أن تكررت عملية صرف العفريت سبع مرات كما يقضي العرف العفريتي . وانتهى الأمر بأن ضربت كبير الدجالين ضرباً مبرحاً وأرغمته على الاعتراف بأنهم لا يزيدون عن كونهم لصوصاً استمرؤوا طعامي وطمعوا في مالي . . وعلى كل حال فإن أم قاسم لم ترجع إلا برفقة أمها والعياذ بالله ! وندمت على صرف العفريت ، فقد كانت العفاريت كلها أهون عليّ من حماتي . !

كادت ليلى تختنق من الضحك لهذه القصة اللطيفة ، وكان الجميع يشاركونها الضحك والمرح إلى أن قال السائق شعبان :

ـ ها هي السيارة . . هذه التي يقف إلى جوارها الجندي .

وخفف من سرعة سيارته إلى أن قالت ليلى :

ـ أرجوك يا شعبان . . توقف قليلاً .

ولما حاول الاعتراض على فكرة التوقف قالت تتوسل :

ـ أرجوك يا شعبان . . من أجلي . !

تدخل خالد قائلاً :

ـ وماذا نخسر يا شعبان ؟ سنلقي نظرة فقط ، ثم نتابع سيرنا .

هز شعبان رأسه متعجباً من هذا الجيل الحديث الذي لا يخاف شيئاً حتى العفاريت . وأوقف السيارة على بعد قليل من سيارة الحادث ، ونظر الجندي الحارس إليهم بحذر ، ولكن الخليط الغريب الذي نزل من السيارة كان مسلياً بالنسبة له ، ولا سيما أنه قضى ساعات طويلة إلى جوار هذه السيارة الكئيبة التي لا تزال تفوح منها رائحة الموت .

اقتربوا من الجندي الحارس جميعاً ، أما « فينو » فقد انتهز هذه الفرصة ليحرك عضلاته ، فانطلق يعدو كعادته مطارداً عصفورة طارت مذعورة .

قال خالد وقد وصلوا إلى حيث وقف الجندي :

ـ السلام عليكم . .

كان الجندي ينظر إلى « سرور » مبتسماً ، واتسعت ابتسامته عندما سمع صوت «فصيح» يقول :

ـ السلام عليكم . . السلام عليكم . .

قال الجندي مرحباً :

ـ وعليكم السلام . . أهلاً وسهلاً .

سألته ليلى وهي تتفرس في السيارة :

ـ أهي السيارة التي ارتكب بها الحادث ؟

أومأ الجندي برأسه وقال :

ـ نعم . إنها هي . . ولهذا أنا هنا لحراستها .

كان « فينو » قد عاد من جولته ، واقترب من مكان السيارة ، والجندي يشرح لهم أقرب القصص التي راجت عن الحادث إلى الواقع بحكم سماعه ما دار من المحقق الذي بكّر بمعاينة الجثة . .

قال الجندي :

ـ لقد وجدوا آثاراً غريبة على عنق المجني عليه . . ويظن الضابط الذي تولى التحقيق الأولي أن وحشاً أطبق على عنقه .

قالت ليلى في استغراب :

ـ إذن فإن ما تردده الإشاعات صحيح ؟

أجابها الجندي بتردد :

ـ بعد انصراف الضابط حضر السيد المأمور ، وأجرى هو الآخر معاينة ، وكان رأيه يخالف رأي الضابط . ولن تعرف الحقيقة إلا بعد وصول تقرير الطبيب الشرعي .

وقطع عليهم الحديث نباح متواصل من فينو الذي أكبَّ برأسه نحو الأرض وأخذ يتشممها ، ويعاود النباح بغضب استبد به فجأة .

ناداه خالد وقد دهش من حالته :

ـ فينو . . ماذا جرى ؟ كُفَّ عن هذا النباح .

رفع فينو أنفه عن الأرض لحظة ، ونظر إلى خالد الذي لاحظ عليه أنه متوتر الأعصاب جداً . . وخالد يعرف أن فينو لا يكون كذلك إلا إذا كان في الأمر شيء .

سار إليه خالد ، وشاهده يقف في مكان يبعد عن السيارة بعدة أمتار . فلما وصل إليه رآه يتطلع إلى نقطة معينة ، فانحنى ليرى ما الذي يثيره ويشده ، فوقع بصره على أثر قدم مطبوع في الرمل . . كان الأثر يشبه الى حد كبير أثر قائمة كلب ، إلا أنه أكبر كثيراً . وكان إلى جانبه أثر لقائمة أخرى يظهر أنها للحيوان نفسه ، ولكنه لاحظ أنها فاقدة إصبعين .

وما كاد يقف حتى انطلق فينو يعدو ، فاجتازَ الطريق إلى الجانب

الآخر ، واستأنف النباح وتشمم الأرض .

كان المشهد قد لفت انتباههم جميعاً ، فقال عصام مستغرباً :

ـ ماذا جرى لفينو ؟ يبدو أنه عثر على ما يستحق الاهتمام .

قالت ليلى وهي تتبعه :

ـ إنه يتبع أثراً ما . .

ولكن فينو لم يمض بعيداً ، بل توقف ثم راح ينبح بشدة . وكان خالد قد وصل إليه فانحنى مرة أخرى وأخذ يتفحص الأرض أمام أنف الكلب الذكي . ولم يستطع أحد أن يرى خالداً وهو يلتقط شيئاً من الأرض ثم يدسه في سرعة وخفة في جيبه .

سأله عصام :

ـ ماذا به ؟

ضحك خالد وأجابه :

ـ يبدو أن ثعلباً أو أرنباً برياً مَرَّ من هنا فأثارته رائحته .

قال السائق شعبان وهو ينظر إلى ساعته :

ـ ألا نواصل سيرنا ؟ لا يزال الطريق أمامنا طويلاً . .

أجابه خالد بهدوء :

ـ الحق معك يا شعبان . . هيا بنا !

وصافحوا الجندي شاكرين له ما أفادهم به من معلومات ، واستقلوا السيارة . ولم ينس فصيح أن يحييه قبل انصرافه فقال :

ـ السلام عليكم . . السلام عليكم . .

ضحك الجندي وأخذ يرقب السيارة وهي تبتعد عنه لتتركه وحيداً مرة أخرى .



كلب البوليس

المفتش جميل يتحرك

وصل الكلب البوليسي مع مدربه تلبية لطلب المفتش جميل ، فاسرع النقيب ماهر يعلمه بذلك ، وانطلق الجميع ومعهم الملازم أسعد . وعند باب المديرية كانت سيارة فرقة الكلاب البوليسية واقفة وفي داخلها الكلب ومدربه ، فقال له المفتش جميل :

- سنذهب أولاً إلى المشرحة ، وبعدها ننطلق في أثر المجرم .
حياه المساعد باحترام وقال :
- كما تشاء يا سيدي .

ومضت سيارة المفتش ، وخلفها سيارة الكلب ، حتى وصلوا إلى المشرحة ، فترجلوا ، ومضوا قدماً نحو مكتب كبير الأطباء الذي استقبلهم بترحاب زائد لمعرفة سابقة وصداقة كانت تربطه بالمفتش جميل .

مَدّ المفتش يده الى الطبيب يصافحه ، ثم قدم له مرافقيه وقال :
- أنا مضطر إلى أخذ بضع دقائق من وقتك يا دكتور محمود .
قال الدكتور محمود مرحباً :
- إن هذا يسرني بل يسعدني جداً .
سأله المفتش جميل :

ـ وصلتكم هذا الصباح جثة القتيل أحمد صالح ، فهل تم تشريحها ؟

أجاب الدكتور محمود باهتمام :

ـ لقد قمت بنفسي بإجراء العملية التشريحية .

قال المفتش يسأل :

ـ وماذا وجدت يا دكتور ؟

اجاب الدكتور محمود برزانة :

ـ لقد وجدت شيئاً غريباً حقاً . .

وسكت قليلاً كأنه يحاول العثور على الكلمات المناسبة ثم عاد يقول :

ـ لقد حدث الموت نتيجة تهتك في العنق مزق الشرايين . . وهذا ليس شيئاً غريباً ، إنما الغريب في الموضوع هو سبب هذا التهتك . . فهو لم يحدث عن استعمال آلة معدنية كما هو المتوقع في أمثال هذه الحالة ، بل حدث عن أسنان حادة ، بل قل عن أنياب قوية وطويلة لا بد أن تكون أنياب وحش ما .

بدا الاهتمام العميق على قسمات وجه المفتش الذي سأله :

ـ وهل بالإمكان يا دكتور تحديد نوع هذا الوحش ؟

فكر الدكتور محمود برهة ثم قال :

ـ لا يمكن القطع في ذلك برأي ، وان كنت أرجح أنها أنياب فهد ، لأن المنطقة التي حدثت الجريمة بها لا تزال تضم بقايا من هذا الحيوان السائر نحو الانقراض .

أطرق المفتش لحظة ثم عاد يسأل :

ـ ألم تشاهد آثاراً أخرى في جسد القتيل ؟

أجابه الدكتور محمود :

ـ بل شاهدنا اكثر من أثر . . فهناك فوق الصدر ، وفي أعلى الثديين على وجه التدقيق ، أثران لرضين مستديرين .وأنا أرجح ـ ضمنت تقريري ـ أنهما حدثا نتيجة اصطدام قائمتي الحيوان بصدر القتيل ، ووقوفه فوق صدره .

وسكت الدكتور برهة ثم تابع يقول :

ـ ووجدنا في ساعده آثاراً مشابهة لأسنان الوحش وقد غاصت إلى عمق يزيد في بعض الأماكن على ثلاثة سنتيمترات .

قال المفتش وقد اكتفى بما سمع من معلومات :

ـ أشكرك جداً يا دكتور محمود . . لي مطلب صغير : هل يمكن أن تزودني بقطعة من ثياب القتيل ؟

ضغط الدكتور على زر الجرس ، ولما ظهر أحد الممرضين قال له :

ـ جئنا بقطعة من ثياب القتيل الذي حملت جثته إلينا اليوم .

وبينما ذهب الممرض لتنفيذ الأمر قال المفتش :

ـ سأذهب لألقي نظرة على الجثة اذا سمحت . .

وصحبه الدكتور محمود إلى حيث أطلعه على ما لاحظه . وكان كل ما ذكره واضحاً وضوحاً غريباً . وعلى الرغم من أن المفتش كان معتاداً على هذه المشاهد فإنه لم يخف تقززه واستفظاعه هذه الجراح .

وانصرف المفتش بعد أن حصل على جزء من ملابس القتيل . وقبل أن

يركب سيارته نادى مدرب الكلب وقال له :

ـ دع كلبك يشم رائحة هذه القطعة من ثياب المجني عليه .

تناول المدرب قطعة القماش وعاد إلى كلبه ، وأخذ طوال الطريق يدسها في أنف الكلب .

ووصلت السيارتان إلى مسرح الجريمة ، فهبط المفتش واتجه إلى سيارة القتيل ، وفتح أبوابها ، وجعل يتفحصها بدقة وصبر . ثم أغلق الأبواب وانصرف إلى الآثار التي على الأرض ، فلما نظر إليها قال في غضب :

ـ ما كان ينبغي أن يقترب أحد من السيارة أبداً . . إن هذه آثار لما لا يقل عن عشرة أشخاص .

أجابه الملازم أسعد موضحاً :

ـ إنها آثار أقدام رجال المشرحة الذين نقلوا الجثة إلى سيارتهم . وكذلك آثار السيد المأمور ومرافقيه .

سأله المفتش وهو يشير إلى أثر شريط على الرمال :

ـ هذا هو أثر مسح آثار الجاني ووحشه . . إن ما ذكرته يا ملازم أسعد صحيح ، ولكن انظر لي أين ينتهي هذا الأثر ؟

أشار الملازم أسعد إلى جانب الطريق وقال :

ـ إنه ينتهي عند الطريق . .

سأله المفتش جميل :

ـ نسيت أن أسألك أين عثرتم على حلقة المفاتيح ؟



من هاجم السيارة ؟

أجاب أسعد وهو يجتاز الطريق إلى الجانب الآخر :

ـ في الرمال على هذا الجانب من الطريق .

ووقف في بقعة معينة وقال :

ـ هنا . وهذه هي العلامة التي وضعتها في الصباح .

فحص المفتش المكان ، وقاس المسافة بين المكان والسيارة . وكانت عشرة أمتار ، فنادى المدرب وقال له :

ـ أطلق الآن كلبك .

ووقف جانباً يراقب التجربة وهو يقول :

ـ لا أظن أن هناك جدوى من تتبع الكلب للأثر ، فالبحث عن القاتل ووحشه ليس في هذا المكان .

وتطلع المرافقان إليه بدهشة ، وتمنيا لو أنه أطلعهما على ما يدور في ذهنه . وبعد اكثر من نصف ساعة من المحاولات لم يستطع الكلب أن يقدم أية مساعدة ، فقد ظل يقطع المسافة جيئة وذهاباً بين السيارة وموقع حلقة المفاتيح ولا يستطيع الخروج منها .

قال المفتش يخاطب مساعده :

ـ ماهر . . دع المدرب يرجع بكلبه . وسنذهب نحن الى المصنع لنلقي نظرة .

في عش الثعلب

وصلت السيارة الآن إلى جزء من الطريق يحاذي مزرعة فخمة بدت في وسط الصحراء كأنها واحة يانعة .

قالت ليلى وهي تتأمل الاشجار الباسقة والمزروعات النامية :

- لمن هذه المزرعة يا شعبان ؟ وكيف أمكن وجودها في هذا المكان الموحش ؟ إنها جنة حقيقية . .

قال شعبان شارحاً :

- هذه مزرعة نموذجية للدولة .

قال عصام والدهشة مستولية عليه :

- ولكن كيف أمكن زراعة كل هذه المزروعات في هذه الصحراء القاحلة ؟

أجاب شعبان الخبير بالمنطقة :

- إن المهندسين الجيولوجيين التابعين لوزارة الزراعة اكتشفوا بعد دراسة طبقات الأرض وجود نهر جوفي يجري تحت هذه المنطقة ، فحفروا الآبار الارتوازية ، واستخرجوا الماء الذي أحال الصحراء إلى هذه الجنة التي ترونها .

ضحك وليد وقال :

ـ العلم يكشف كل يوم كشفاً يكاد يشبه المعجزات ، ومع ذلك لا تزال أم قاسم تخاف العفاريت .

قال له شعبان :

ـ إنه الجهل يا ولدي . . إن مصيبة الطبقة الفقيرة أيام الاستعمار أن التعليم كان مقصوراً على أولاد الأغنياء وحدهم . .

قالت ليلى :

ـ ولكن مدارس محو الأمية انتشرت في كل مكان يا عم شعبان ، فلماذا لا تلحق أم قاسم بمدرسة الحي ؟

ضحك السائق وقال :

ـ يقول المثل الشعبي : بعد أن شاب يذهبون به إلى الكتّاب . . لا فائدة يا ابنتي . . أحمدُ الله على أن الأولاد جميعاً يسيرون جيداً في دراستهم . وقد تركت لهم أمر تثقيف والدتهم . . وأعتقد أنهم أناروا بصيرتها في أمور كثيرة كانت تفهمها فهماً سيئاً .

تجاوزت السيارة منطقة المزرعة النموذجية ، وران الصمت على ركابها ، فلم يكن يسمع سوى هدير المحرك القوي . وبعد سير استمر ساعة تقريباً لاح في الأفق شبح جبل يقف وحده في هذه الصحراء المترامية الأطراف ، وكأنه حارس عملاق يقوم على حراستها .

قال السائق شعبان :

ـ ها هو ذا عش الثعلب .

نظر الجميع إلى الجبل الغريب ، وقال خالد يسأل شعبان :
- إنه يبدو صغيراً وغير مرتفع . . أليس كذلك ؟

أجابه شعبان :
- هكذا يبدو عن بعد ، ولكنه يغطي مساحة ميلين أو اكثر ، ويبلغ ارتفاعه عند القمة مائة متر تقريباً .

كانت بيانات شعبان دقيقة ، ولا عجب ، فهو خبير بالمنطقة ، وكان صدق بياناته يتضح كلما ازدادوا قرباً من الجبل . وعندما وصلوا إلى سفحه أخيراً قال خالد :

- فلنلق عليه نظرة قبل أن نمضي في طريقنا .
ظهر التردد على وجه السائق العجوز ، ولا سيما بعد أن تذكر تحذيرات المفتش جميل ، فقال :

- ليس في المكان ما يستحق التوقف والمشاهدة .
قال خالد :
- لا ضرر من التوقف بعض الوقت .
وقالت ليلى مؤيدة :
- لا أظن أن في المنطقة شيئاً يستحق المشاهدة اكثر من هذا الجبل العجيب .

. وتحفز الآخرون ليعلنوا احتجاجاتهم على تردد شعبان ، فسارع السائق إلى الموافقة قبل أن يسلقوه بألسنتهم . وهكذا هبطوا من السيارة ، وداروا سيراً على الأقدام دورة غير كاملة حول الجبل .

وفجأة حدث ما لم يكن في الحسبان ، وتطورت الأحداث بسرعة لم تترك لهم الخيار في العمل .

كان السائق شعبان في السيارة ينتظرهم مفضلاً أن ينال قسطاً من الراحة على أن يشاهد المكان الذي شاهده من قبل مئات المرات ، عندما فوجىء وهو في نومه بالباب يفتح بعنف ، وبيد تمتد إليه ، وتنتزعه بقوة من مكانه لتلقيه على الأرض خارج السيارة .

وانهال العملاق المعتدي بالضرب والركل على السائق المسكين حتى أفقده الوعي ، ثم حمله وألقاه داخل السيارة ، وجلس هو الى عجلة القيادة ، ثم انطلق بالسيارة في سرعة هائلة .

ولم يدر الرفاق بما حدث إلا حين سمعوا دوي المحرك ، ولكنهم حين التفتوا لم يروا إلا السيارة وهي تنطلق بكل قوتها .

قالت ليلى مستغربة :

ـ انظروا . إن شعبان انطلق بالسيارة . . ترى إلى اين يذهب في هذا الاتجاه ؟

وقف الجميع ينظرون الى السيارة المنطلقة بسرعة حتى قال خالد :

ـ غريب . ! ما معنى ذلك . ؟ إنه مستمر في انطلاقه كأنه لا يريد أن يعود .

وقال عصام :

ـ ربما خطر له أن يزور أحد أصدقائه ، فهو كما قال عمي المفتش جيل من أبناء البدو القاطنين في هذه المنطقة .

وبينما هم في تساؤلاتهم هذه إذ انفلت منهم فينو ، وأخذ يتسلق الجبل وهو ينبح بقوة واستمرار .

أسرع خالد يرتقي الجبل خلفه ، وتبعهُ بقية الرفاق ، حتى انتهوا إلى قمة الجبل ، وهناك وجدوا فينو يقف أمام فُوهَة كهف ، وينبح بغضب شديد .

سأله خالد :

ـ ما لك يا فينو ؟ ماذا وجدت هنا ؟

وجاء الرد من داخل الكهف ، إذ سمعوا زمجرة مخيفة تنبعث من الداخل تشبه زئير الأسد ، فقال خالد :

ـ يظهر أن في الداخل حيواناً خطراً . . فلنبتعد عن المكان بسرعة .

واستداروا يهمون بالعودة حين أفلت فينو منهم ومرق مسرعاً إلى داخل الكهف وهو يواصل نباحه الغاضب .

صرخ به خالد :

ـ فينو . . قف يا فينو . . عد يا فينو !

ولكن فينو كان قد اختفى في ظلام الكهف ، ولم يكترث لصيحات صاحبه .

وقف خالد أمام باب الكهف لا يجرؤ على الدخول ، واكتفى بالإنصات إلى الأصوات المنبعثة من الداخل . كان فينو لا يزال ينبح ، وكانت زمجرة الحيوان المجهول لا تزال تسمع ، ولكن نباح فينو لا يشعر بأنه مشتبك مع

الحيوان في أي عراك ، بل كان يشعر بأن المعركة بين الحيوانين مقتصرة على التراشق بالأصوات **فقط !**

كان عصام قد لحق بخالد ، وراح يتبادل معه نظرات الاستفسار ، حتى قال خالد :

ـ غريب يا عصام . . إن فينو والحيوان المجهول يتعاويان فقط . !

وفجأة ظهر فينو ، ونبح في وجوههم كأنه يطلب منهم اللحاق به ،ثم عاد أدراجه إلى داخل الكهف .

قال خالد :

ـ دعنا نلق نظرة . . يظهر أن الخطر ليس مباشراً ، وإلا ما خرج فينو وعاد كما يحلو له .

أخرج عصام علبة ثقاب من جيبه ، وأشعل أحد عيدانها ، ورفعه فوق رأسه ليكشف الطريق . وحين انجلى الظلام أمكنهما أن يريا مصباحاً غازياً معلقاً على جدار الكهف في مدخله . كان ذلك مصادفة سعيدة ولا شك . وأسرع خالد إلى المصباح فأنزله ثم أوقده ، ورفعه قليلاً حتى يكشف نوره القوي جنبات المكان المظلم ، ولكن لم ير خالد أو عصام أثراً لفينو على الرغم من أن نور المصباح قد ملأ نواحي الكهف إلى مسافة كافية .

قال عصام :

ـ يبدو أن الكهف متشعب الأرجاء . .

كانت ليلى قد لحقت بهما وبرفقتها وليد وسرور ، فالتفت إليها خالد

وقال :

ـ لماذا جئت يا ليلى .؟ إن المكان خطر ، ولا نعلم ما يدور في الداخل . .

أجابته ليلى بهدوء :

ـ ولهذا أسرعت إليكما . . إنه صوت وحش يا خالد . . وعليك أن تتذكر أن القتيل قتله وحش . !

وأدرك عصام ما تعنيه أخته ففغر فاه مشدوهاً فزعاً ، بينما جمد خالد لحظة استرجع خلالها رباطة جأشه ، ثم قال وقد لمعت عيناه :

ـ عظيمة أنت يا ليلى . . عظيمة !

وتحركت في أعماقه غريزته البوليسية ، وغرامه بالمغامرات ، فالتفت إلى رفاقه وقال لهم بصوت يرتجف بين الانفعال والحماسة :

ـ هيا بنا يا رفاق !

ورفع المصباح ليمتد النور الى أقصى مدى ممكن ، ومضى نحو الداخل والجميع خلفه يمشون في بطء وحذر ، وهم يتقدمون نحو مصدر النباح والزمجرة اللذين كانا لا يزالان يترددان في جنبات الكهف المتعرج .

وبعد المنعطف الثالث فجئوا بما جعلهم يتسمرون في مكانهم فزعاً ورعباً . لقد شاهدوا في صدر الكهف قفصاً حديدياً ضخماً ، وبداخله فهدٌ أسود اللون تقدح عيناه شرراً ، وهو يضرب بيديه القضبان محاولاً الوصول إلى فينو .

كان الخوف قد عقد ألسنتهم ، إلا خالداً الذي قال وقد تمالك أعصابه :

ـ يا له من وحش كاسر . !

ورفع المصباح ليزداد النور سطوعاً ، فرأى الجميع الوحش الضخم وهو يزمجر غاضباً مكشراً عن أنيابه الرهيبة المعقوفة .

وبعد صمت دام لحظات قالت ليلى :

ـ إذن كان صحيحاً ما قاله الضابط وردده الناس عنه ؟!

أجابها خالد وهو يتأمل الوحش الحبيس !

ـ ومعنى ذلك أن مدربه ، وهو القاتل الفعلي ، قريب من المكان . . يجب أن نخرج من هنا في أقصى سرعة .

سألته ليلى بهلع :

ـ خالد . ! إلى أين نذهب ؟ أخشى أن . .

قاطعها وقد استبد به القلق :

ـ السائق شعبان ، أليس كذلك ؟ إنه هو ولا شك . . إنه هو . .

سأله عصام :

ـ أتعني أن القاتل هو الذي اختطف السيارة بالعم شعبان ؟

أجابه من فوره :

ـ لا شك في ذلك . ومعنى ذلك أنه سيعود إلينا بعد أن يتخلص من الخطر الوحيد الذي يتهدده . أما أمرنا فهو في نظره سهل ميسور ، فيكفي أن يطلق فهده ليقضي علينا في لحظات ، ولكن وجود العم شعبان ،

واحتمال هربه بالسيارة للإبلاغ عن فقدنا ، هو الذي جعله يبدأ به .

قالت ليلى في شجاعة :

- وماذا يهمنا من أمره ما دام لن يصل إلى وحشه ليطلقه ؟

نظر إليها وهو ممتلىء إعجاباً بذكائها وشجاعتها ، وقال :

- رائعة يا ليلى . ! حقاً . إن الغلبة لنا عليه . فنحن كثرة وهو وحده . وليس من المحتمل أن يكون مسلحاً ، وإلا ما احتاج إلى هذا الفهد ليرتكب جريمته .

قال عصام :

- حتى لو كان مسلحاً لن يخطر بباله أبداً أننا في انتظاره هنا في عرين وحشه .

قال خالد بحزم .

- إذن هيا لنختار المكان الذي ننتظره فيه .

كان وليد يحمل المصباح فوق رأسه ليضيء جوانب الكهف أثناء خروجهم ، فساعد ذلك على رؤية ملابس كانت معلقة على الجدار . فتوقف خالد واتجه إليها وقال :

- انتظر يا وليد . . كنت من قبل أشك ، أما الآن فأنا واثق .

أسرع خالد وتناول سترة رمادية كانت من الصوف الخشن ، وراح يتفحصها ويتفقد أزرارها ، وكم كان سروره عظيماً حين اكتشف أنه ينقصها زر . وحينئذ مد يده إلى جيبه ، وأخرج منه زراً اسود اللون وقارنه بأزرار السترة فإذا هو احدها . واذا هو الزر المفقود في السترة .

قال وقد برقت عيناه :

ـ ها هو ذا الدليل القاطع . . لقد التقطته من المكان الذي كان فينو يشمه وينبح فوقه الى جوار سيارة القتيل .

أعاد السترة إلى مكانها ، وقال لوليد :

ـ اخفض المصباح ودعنا نرَ ما يخفي هنا . .

كان في ركن المكان صندوق خشبي قديم ألقيت فوقه حشية قذرة وبعض الأغطية . أزاحها خالد وفتح الصندوق فوجد بداخله بعض الملابس القديمة ، ولكن يده اصطدمت في قاع الصندوق بشيء لين . أمسك به وأخرجه . . كانت حقيبة أوراق جلدية سوداء اللون . فتح خالد هذه الحقيبة فظهرت بداخلها رزم أوراق نقدية . .

صاح عصام :

ـ إنه مبلغ ضخم . !

أجابه خالد من فوره :

ـ إنه عشرة آلاف دولار أمريكي . !

نظروا إليه باستغراب فقال :

ـ دعونا نبحث عن أوراق نقدية في الحقيبة .

وفي جيب من جيوب الحقيبة عثر على بضع أوراق ، فقال :

ـ عصام ! فليراقب أحدنا في الخارج حتى لا يفاجئنا بقدومه .

أسرع عصام يربض خلف أحد الأحجار بحيث يرى الطريق الموصل إلى الكهف ، بينما شرع خالد يتفحص الأوراق بسرعة . وتنهد بارتياح ،

وأعاد الأوراق إلى مكانها ، وأغلق الحقيبة على ما بها ، وأعادها إلى مكانها ، ثم أغلق الصندوق الخشبي ، وأعاد الحشية والأغطية إلى مكانها فوقه ، وأطفأ المصباح وأعاده إلى مكانه . .

وجلسوا جميعاً عند باب الكهف حتى لا يظهروا من الطريق . وكان عصام يسمع كل كلمة يقولونها .

قال خالد :

ـ علينا أن نستقبله استقبالاً حافلاً .

قال وليد وهو يفرك يديه الكبيرتين !

ـ إليّ به . . أنا في أشد الشوق إليه . . صدقوني !

أجابه عصام من الخارج :

ـ أعدوا بعض الحبال إن وجدتم لنقيده بها . .

سحبت ليلى بعض الاغطية ، واخرجت مقصها الصغير ، واخذت تقص منها أشرطة قوية بسرعة عندما قال وليد :

ـ خالد . . المكان ضيق . . أفضل أن ننتظره في الداخل ، فالمكان هناك أكثر اتساعاً .

ابتسم خالد لفكرته وقال :

ـ نظرية سليمة . . ولكن أخشى أمراً واحداً قد يقدم عليه القاتل .

سألته ليلى :

ـ ما هو يا خالد ؟

أجابها بغموض :

ـ أخشى اذا دخل الكهف ألاّ نستطيع الاصطدام به قبل أن يأخذ المبلغ ويهرب به . .

تطلعت إليه بحيرة وسألته :

ـ وكيف يمكن ذلك . . أليس وحشه في الداخل ؟!

هز رأسه وقال مشيراً إلى صفيحة وقطعة من القماش وضعا في أحد أركان الكهف الداخلية :

ـ ماذا تظنون في هذه الصفيحة ؟ إنها ملآى بالبنزين ، وفوقها قطع من القماش . فماذا يفعل القاتل بالبنزين ، وما حاجته إليه ؟

صمتوا ينتظرون إيضاحه فتابع يقول :

ـ إذاوضعنا أنفسنا في مكان القاتل ، فماذا نفعل ؟ ظاهر الأمر أنه انسان مدقع الفقر يعيش كالوحش مع فهده هذا . . توصل إلى الحصول على هذا المبلغ الضخم . . فهل ينتظر ليعيش مهدداً ، أم يهرب بالمبلغ ليغير حياته ويبدأها من جديد في مكان بعيد عن كل خطر . . ولا بد أنه معروف في هذه المنطقة ، ومعروف أنه يعيش في هذا الكهف ، فكل هذه الأمتعة التي في الكهف تثبت ذلك . إذن ليكون مطمئناً يتخلص أولاً من الوحش بأن يحرقه بهذا البنزين ، فإذا اطمأن الى موته حمله ودفنه في مكان ما من الجبل الذي يعرفه جيداً ، ويزيل كل أثر يدل على وجوده . ثم يهرب آمناً . .

ضحك عصام وقال :

ـإنه خيال خصب يا خالد . . هل اندلاع النار في الكهف أمر يمكن

إخفاؤه . ؟ سيراه كل من يمر بالطريق ، ولا سيما عمال هذا المصنع القريب . .

ابتسم خالد وقال :

ـ انظر إلى هذا .

وأشار الى لوح من الصاج يكفي لإغلاق باب الكهف الداخلي بإحكام وقال :

ـ لقد رتب أمره بدقة . . فبهذا الصاج يضمن عدم خروج الوهج إلى الخارج .

كان استنتاجاً صحيحاً وتسلسلاً دقيقاً ، فقالت ليلى :

ـ والآن ماذا قررت ؟

وقبل أن تنهي سؤالها كان خالد يوزع رفاقه على الأمكنة المهمة ، وقد اختار لليلى مكاناً ترى منه كل شيء وهي بعيدة عن ساحة المعركة المنتظرة . ثم جلسوا يترقبون وصول المجرم .

في المصنع

وصل المفتش جميل وبرفقته النقيب ماهر إلى مصنع المجني عليه حيث كان العمل يسير بانتظام وكأن شيئاً لم يحدث ، أو كأن صاحب المصنع لم يصبح في عداد الأموات . وعندما توقفت السيارة أمام الباب الخارجي نهض الحارس واسرع إلى فتحه مرحباً ومحيياً ، فهمس المفتش قائلاً :

ـ يبدو أنهم لا يعلمون بعد ما حدث لصاحب مصنعهم !

حيا المفتش الحارس بلطف وقال يسأله :

ـ هل السيد أحمد بالمصنع ؟

أجابه الرجل :

ـ كان هنا وانصرف في الصباح الباكر . . ولكن السيد عبد القادر هنا .

قال المفتش :

ـ أرجو أن تقودنا إليه . . نحن من مكتب العمل . .

هرول الحارس أمامهما إلى غرفة مكتب في مدخل المصنع ، وطرق بابها ، ثم دخل يقول :

ـ سيد عبد القادر . . السيدان من مكتب العمل ، ويسألان عن السيد أحمد .

دخلا إلى الحجرة المرتبة حيث وقف لاستقبالهما كهل في الخمسين من

عمره نحيل الجسم يضع على عينيه نظارات طبية سميكة تدل على ضعف شديد في بصره .

قال الرجل وهو يصافحهما في أدب زائد :

ـ أهلاً وسهلاً . . تفضلا . .

وحين استقر بهما المجلس عاد المفتش يسأل قائلاً . .

ـ متى يحضر السيد أحمد ؟

أجاب الرجل في حيرة :

ـ كان المفروض أن يكون هنا منذ ساعات . ولا أدري السبب الذي أخرّه حتى الآن . .

وسكت لحظة ثم استدرك يقول :

ـ ولكني تحت أمركما ، فأنا هنا المسؤول عن شؤون العمال . .

قال المفتش جميل :

ـ عظيم . ! إن هذا يسهل علينا العمل . . أخبرني أولاً كم عدد العمال هنا ؟

وفتح الرجل سجلاً ضخماً ونظر فيه ثم قال :

ـ تسعة وسبعون عاملاً وعاملة ، وعشرة حراس .

عاد المفتش يسأل :

ـ وهل جميعهم من أبناء المنطقة ؟

هز الرجل رأسه علامة النفي وقال :

ـ الكثرة الغالبة هي من أهالي المنطقة ، ولكن رؤساء العمال من المدينة .

فكر المفتش قليلاً ، ثم عاد يسأل :

ـ ألم تتعرضوا لأية متاعب مع العمال ؟

أجابه الرجل بغضب متكلف :

ـ لا . لا . العمال هنا سعداء جداً بعملهم . .

قال المفتش محاولاً استدراجه :

ـ ولا حادثة على الإطلاق ؟؟

كان سؤالاً محرجاً . وخطر للرجل أن سائله يعرف شيئاً ، فلم يجد بدًّا من الاعتراف ، فقال :

ـ الواقع أن الناس ليسوا كلهم من طينة واحدة . فبعضهم لا يرضى عن شيء مهما حاولت معه .

تظاهر المفتش بأنه مقتنع بفلسفة الرجل ، وقال :

ـ أعلم ذلك . . يوجد دائماً عمال لا يرضيهم شيء حتى لو وهبتهم المعمل كله . .

قال الرجل وقد اطمأن الى موافقة محدثه :

ـ نعم يا سيدي . . ومن هؤلاء الحارس سمعان .

سأله بغير اكتراث :

ـ ما خطبه ؟ لعله غير راض عن مرتبه !

قال الرجل :

ـ إنه حارس ، ومرتبه أعلى مرتب يتقاضاه حارس في كل المنطقة ، ولكنه دائم التذمر ، لا يمر يوم دون أن يتشاجر مع أحد العمال ، وكل

ذلك بسبب فتاة كانت تعمل في المصنع .

قال المفتش ضاحكاً وكأن القصة أثارته :

ـ ماذا . . أهي قصة غرام ؟

أجابه الرجل بانفعال :

ـ إنك تسخر يا سيدي . . ولكن هذا هو واقع المأساة حقاً . . أحب فتاة كانت تعمل بالمصنع . وأراد الزواج منها ، ولكنها رفضت لأنها كانت تحب أحد العمال ، وكان قريباً لها . فاغتاظ سمعان من هذا الرفض وعده إهانة له ، ولم يجد وسيلة للانتقام إلا بمشاكسة العامل المسكين ، ثم لم يكتف بالمشاكسة بل تعدى عليه بالضرب . وعلى الرغم من أننا جميعاً نعلم هنا من الذي ضرب العامل فإن الشرطة لم تستطع اثبات التهمة على سمعان لأن الاعتداء جرى في الظلام ولم يكن مع الرجلين ثالث يشهد بذلك .

ولم يقف سمعان في تعديه عند هذا الحد ، بل فرض على الفتاة ألاّ تكلم أحداً في المصنع . ورأى السيد أحمد أن وجود الفتاة سيسبب بعض المشاكل في مصنعه ، ففصلها بعد أن دفع لها تعويضاً كبيراً . واعتبر سمعان هذا العمل موجهاً ضده فتشاجر مع السيد أحمد صاحب المصنع وتطاول عليه واسمعه ألفاظاً جارحة . بل إنه هدده وتوعده . وعندئذ لم يجد السيد أحمد بدأ من فصله ففصله منذ أسبوع .

سأله المفتش باهتمام :

ـ وكيف تلقى أمر فصله ؟

أجابه الرجل وكأنه يتذكر أمراً كريهاً إلى نفسه :

ـ لقد وقف يقهقه كالمخبول متمنياً للمصنع الخراب ولصاحبه الدمار والإفلاس .

سأله المفتش :

ـ واين يقيم ؟ لا شك أن عنوانه مسجل عندكم . .

أجاب السيد عبد القادر .

ـ إنه من أهالي المنطقة . وهؤلاء ليس لهم إقامة دائمة ، فأحياناً تراهم هنا ، وأحيانا تراهم قد رحلوا بخيامهم إلى مكان آخر . وبعضهم ممن ليس لهم أهل قد يقيمون في كهوف جبل عش الثعلب ، على الرغم من المخاطر التي يتعرضون لها من جراء المبيت في هذه الكهوف .

قال المفتش يسأله :

ـ وماذا يمكن أن يحدث لهم اذا باتوا في هذه الكهوف ؟

قال السيد عبد القادر :

ـ قد تفترسهم الوحوش التي تلجأ عادة إلى هذه الكهوف لتتخذ منها مأوى لها .

سأله المفتش :

ـ وهل حدث شيء من هذا القبيل حتى اليوم ؟

أجاب الرجل :

ـ نعم . لقد افترست هذه الحيوانات ثلاثة منهم حتى الآن ؟

قال المفتش :

ـ ومع ذلك لا يزالون يتخذون هذه الكهوف بيوتاً لهم ؟

هز الكهل رأسه نفياً وقال :

- لا ، لقد أقلعوا عن هذه العادة . ولكن يقال إن سمعان هذا لا يزال يقيم في أحد الكهوف .

وهنا لم يجد المفتش فائدة من استمرار كتمان حقيقته فقال للرجل :

- لا تؤاخذني لإخفاء شخصيتي عنك . . أنا المفتش جميل من المباحث الجنائية . ويؤسفني أن أبلغك خبراً سيئاً . . لقد قتل السيد أحمد صالح صاحب مصنعكم هذا الصباح .

سقط الرجل في مقعده من هول الصدمة ، وتمتم في صوت متهدج :

- قتل ؟ السيد أحمد قتل ؟ ومن قتله ؟ ولماذا يقتل السيد أحمد ؟ كيف قتل يا سيدي المفتش ؟

نظر المفتش الى وجه الرجل الذي انهار لسماعه النبأ وقال يجيبه :

- وجد مقتولاً في سيارته على الطريق الموصل إلى جبل عش الثعلب . والغريب أن الذي قتله وحش مفترس . .

ازداد هلع الرجل وقال :

- وحش ؟ أي وحش ؟ وكيف وصل إليه الوحش في سيارته ؟

سأله المفتش :

- ألا تعرف للمرحوم أعداء ؟

فكر الرجل برهة وقال :

- لا أظن . . لقد كان رحمه الله طيب القلب حسن السيرة ، وكان جميع من حوله يحبونه حباً عميقاً ، ولا أعلم أحداً اختلف معه في شيء ، اللهم

إلا ورثة شريك والده المرحوم .

وبدا الاهتمام واضحاً على المفتش الذي سأل :

ـ وما حكاية هذا الخلاف ؟

قال السيد عبد القادر :

ـ كان والده المرحوم تاجراً . وكان له شريك في تجارته . وقد مات هذا الشريك وخلّف ولدين : شاباً وبنتاً . فجاء الوريثان يطالبان شريك أبيهما المتوفى بحصة ابيهما من الشركة ، فدفع لهما ما ظنه حقهما ، ولكنهما اختلفا معه في مبلغ عشرة آلاف دولار . وقد قبل السيد أبو أحمد بدفع المبلغ إذاهما أبرزا الوثائق التي تثبت دعواهما ، ولكنهما عجزا عن ذلك ، فلم يدفع لهما شيئاً . ثم إن السيد أبو أحمد مات هو الآخر ، فجاء الوريثان وطالبا ابنه السيد أحمد بالمبلغ ، فرضي هذا بالدفع على الرغم من عدم وجود ما يثبت حقهما في هذا المبلغ الضخم ، وفي هذا اليوم بالذات أخذ المبلغ معه صباحاً ليدفعه لابنة شريك والده وأخيها ، لينتهي من المشكلة الوحيدة في حياته .

قطب المفتش حاجبيه وقال باهتمام :

ـ إذن كان يحمل هذا المبلغ معه ؟ هل أنت واثق من هذا ؟

قال الرجل وهو يشير إلى خزانة كانت في أحد أركان المكتب :

ـ لقد صرف المبلغ من المصرف بالأمس ، وأودعه الخزانة . واليوم طلب مني إخراجه ووضعه في حقيبة أوراقه ، ففعلت ذلك بنفسي .

صمت المفتش وتبادل مع ماهر نظرة تفاهم وقال :

ـ ومتى غادر المصنع ؟

أجاب الرجل :

- في تمام السادسة إذ كان موعده مع الوريثين في السابعة في المحطة .

سأله المفتش متعجباً :

- وهل من عادته أن يبكر الى المصنع كل هذا التبكير ؟

هز الرجل رأسه نفياً وقال :

- لا . ولكن له ههنا غرفة أعدها لينام بها كلما اضطره الأمر إلى السهر بالمصنع ، وقد نام أمس هنا .

قال المفتش :

- ماهر . . اتصل بالمديرية . . أريد قوة من خمسين فرداً بكامل السلاح ليضربوا حصاراً حول جبل عش الثعلب .

مضى ماهر الى السيارة المنتظرة في الخارج ، فأجرى الاتصال المطلوب ، ثم عاد الى رئيسه يبلغه النتيجة :

- ستصل القوة المطلوبة على وجه السرعة .

نهض المفتش لينصرف وقال :

- نشكرك . واذا اتصل بك الورثة فاسألهم إن كان المبلغ قد وصلهم أم لا .

وعندما استقل المفتش السيارة قال لماهر :

- اعتقد أننا سنكشف عن نوع جديد من المجرمين يا ماهر .

المجرم في الفخ

مرت ساعة كاملة والفرقة رابضة في أماكنها ترقب الطريق بعيون يقظى . حتى همس عصام :

ـ ها هوذا قد وصل . .

قال خالد :

إنه في الطريق إلى هنا . .

ـ الزموا الصمت . . ولا يبدأ أحد منكم بالهجوم إلا بعد أن أعطي الإشارة .

ولم يمض وقت طويل حتى سمعوا صوت خطوات ثقيلة تقترب منهم ، ثم ظهر عملاق ضخم الجثة راح يتقدم من باب الكهف دون أن يشعر بما كان ينتظره .

ولج باب الكهف ، ومضى قدماً نحو صفيحة البنزين ، فحملها وراح يفرغ بعض ما بها على قطع من القماش .

وقبل أن يمد يده إلى جيبه لإخراج علبة الثقاب سمع صوتاً يهتف من خلفه :

ـ فينو . . هيا !

ولم يدر ماذا جرى بعد ذلك . . كل ما يعيه أن الأرض انشقت عن مجموعة غريبة من الشياطين راحت تهاجمه من كل جهة . . فمن هنا برز له

كلب ضارٍ ، ومن هناك قفز عليه قرد غريب المنظر ، ومن الجهة الأخرى هاجمه ثلاثة فتيان أشداء . وبينما كان الكلب يعض ساعده فيشل حركته ، وبينما كان القرد قد ركب كتفيه وراح يقضم إحدى أذنيه ، أقبل أكبر الفتيان جسماً وسدد إلى فكه لكمة لا يذكر أنه تلقى مثلها في كل حياته .

ولم تمض غير لحظات على هذا الهجوم الصاعق المفاجيء حتى كان موثقاً من يديه ورجليه وكأنه طرد معد للشحن ، وفتى صغير الجسم ذكي النظرات يقول له :

- إلى أين ذهبت بالسائق شعبان ؟ أمامك دقيقة واحدة لتجيب ، وإلا جعلت هؤلاء يذيقونك مالا صبر لك عليه .

وأخذته المفاجأة فقال مستسلماً :

- إنه هناك . . خلف تلال الحريقة . .

قال خالد يهدده :

- اقسم بالله ليكونَنَّ مصيرك الموت إن كنت قد مسسته بأذى . . ولأحرقَنَّك ببنزينك هذا . .

ارتجف المجرم فزعاً من التهديد الرهيب وقال :

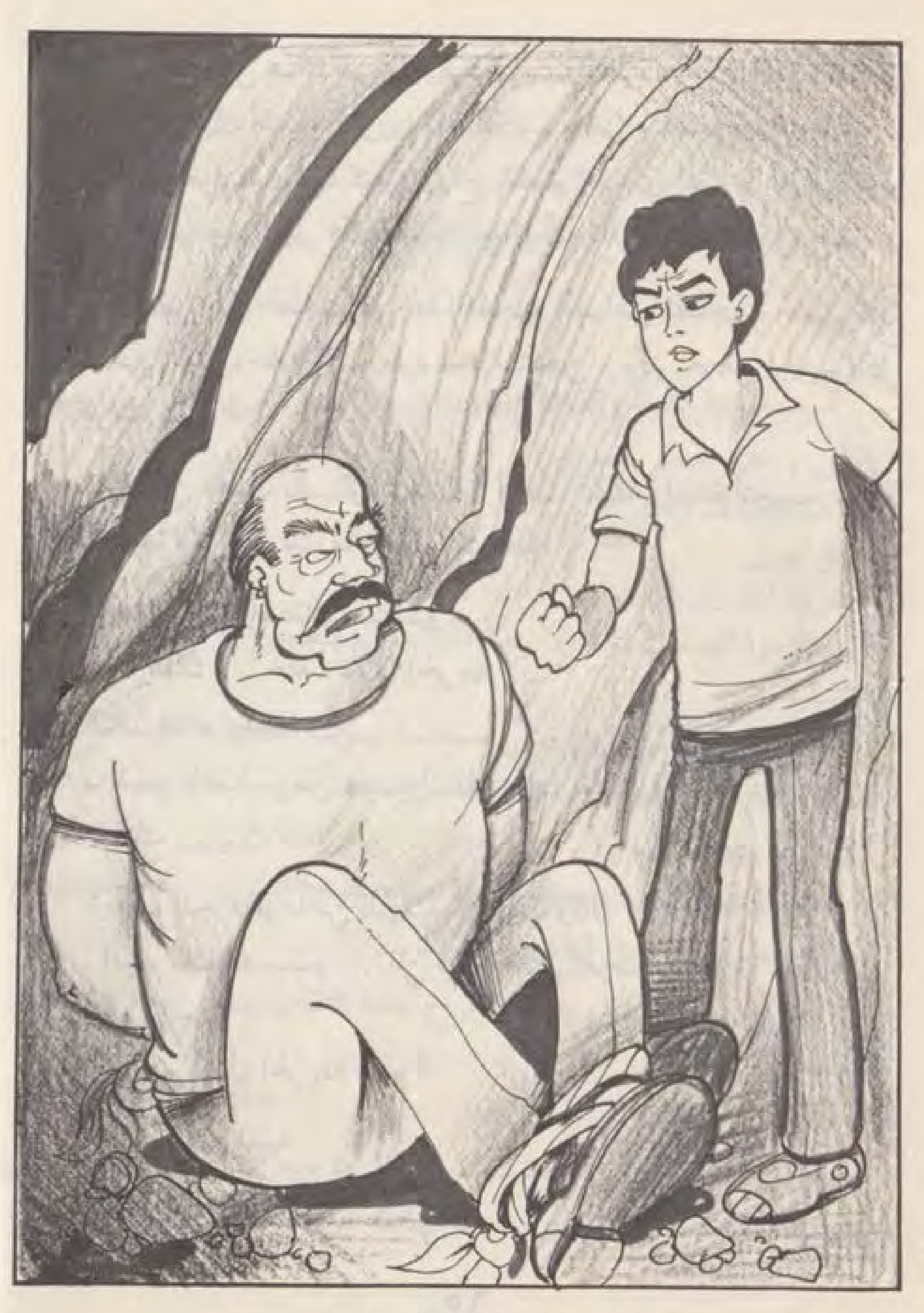
- اقسم لك انه سليم . . اني قيدته حتى أهرب .

سأله في حدة :

- أين هي تلال الحريقة هذه ؟

أجاب المجرم المقيد :

- هناك على بعد نصف ساعة .



من ربط المجرم ؟

قال خالد في هدوء :

- يجب أن نطلب مساعدة بابا . . سأرسل له رسالة مع فصيح .

وأسرعوا يكتبون ورقة ربطوها في ساق فصيح ، وقال خالد :

- فصيح . ! أسرع إلى المنزل . . إلى بابا . .

أجاب فصيح بسرعة :

- بابا . . فصيح فاهم . . بابا . .

وانطلق فصيح يخفق بجناحيه . . ولكنه لم يكد يغيب عن أنظارهم حتى رجع عوده على بدئه ، فنظروا إليه متعجبين ، وسأله خالد :

- فصيح . ؟ لماذا رجعت ؟ هيا اذهب بسرعة . !

ولكن الطائر الذكي وقف يصفق بجناحيه وهو يردد :

- عساكر . . عساكر . . عساكر . . بابا هنا . . بابا هنا . .

نظر إليه خالد متعجباً من حالته وراح يردد كلماته :

- بابا هنا . . عساكر . !

وانتبه سريعاً إلى ما يعنيه الطائر ، فقفز خارجاً من الكهف ليرى قوات الشرطة تطوق الجبل ، وتسير من كل جهة وبيطء نحو باب الكهف .

صاح في فرح طاغ :

- لقد صدق فصيح . . تعالوا انظروا !

خرجوا جميعاً ينظرون فرأوا رجال الشرطة يتسلقون الجبل نحوهم بينما كانت سياراتهم تربض عند سفح الجبل وإلى جوارها بعض العناصر التي بقيت للحماية ، وبينها المفتش جميل .

قال عصام :
- يجب أن نسرع بتنبيههم الى وجودنا .
وقالت ليلى بفرح :
- انظروا ها هو ذا عمي المفتش جميل !
التفت خالد إلى سرور وقال له :
- سرور . . أسرع إلى بابا واخبره أننا هنا . .
انطلق سرور هابطاً يقفز كأنه كرة تتدحرج . وبعد لحظات كان عند المفتش الذي استبد به العجب من رؤيته في هذا المكان .

ومن قمة الجبل رأى الرفاق المفتش وهو يسأل القرد بحركات مستفسرة ، ثم رأوه وهو يرفع بصره نحوهم بعد أن أشار إليهم سرور ، فلوحوا له جميعاً بأيديهم ، فأسرع ومعه ماهر يتبعان سروراً الذي انطلق أمامهما سعيداً يقفز بفرح .

ما إن وصل المفتش إلى الكهف حتى صرخ في وجه خالد غاضباً :
- خالد ، لقد تجاوزت كل حد .
ولكن خالداً لم يأبه كثيراً لغضب والده ، بل استقبله مبتسماً وقال وهو يشير الى القاتل الموثق على الأرض :
- أريد أن أقدم إليك هدية يا بابا . .
نظر المفتش إلى المجرم المطروح ، وقال لماهر :
- لقد سبقنا الشيطان خالد مرة أخرى . .
وقبل أن يعلق ماهر على قول رئيسه بشيء كان خالد قد جاء بحقيبة

الأوراق من الصندوق ، وقدمها إلى والده وهو يقول :

ـ هاك الحقيبة ، وبداخلها عشرة آلاف دولار هي حق الفتاة وأخيها .

قال المفتش وقد أذهله ما يسمع :

ـ وتعرف أيضاً قصة الوريثين والمال ؟ أنت رائع حقاً أيها الفتى ! !

قالت ليلى وهي تضحك :

ـ المفاجأة الكبرى في الداخل يا عمي . .

نظر إليها المفتش مبتسماً وقال :

ـ ألا يزال في جُعبتكم مزيد من المفاجآت ؟ ترى ما تكون هذه المفاجأة ؟

أجابة خالد مشيراً إلى الداخل :

ـ الوحش الذي ارتكب الحادث .

أسرع المفتش وماهر خلفه إلى الداخل فاستقبلتهما زمجرة الفهد الغاضبة ، ونظراته النارية .

هتف ماهر مأخوذاً :

ـ يا إلهي . . إنه فهد أسود . !

قال المفتش وهو يقترب من قفص الحيوان ، ويرفع المصباح الذي لحقه به خالد :

ـ انظر يا ماهر إلى كفه .

تناول ماهر المصباح من يد رئيسه ، وتقدم من الوحش ونظر الى قائمتيه الاماميتين ، فرأى إحداهما ناقصة إصبعين .

التفت المفتش نحو خالد وقال له :

ـ وكيف وضعتموه داخل هذا القفص ؟

أجابه خالد :

ـ لقد وجدناه هكذا حين دخلنا الكهف .

وشرح له ما جرى بإسهاب حتى أتى على ذكر الفتاة والشاب فقال المفتش :

ـ عمل رائع ! .

والتفت إلى ماهر وسلمه الحقيبة وقال :

ـ احفظ هذه مع مضبوطات القضية إلى حين تسليمها لمستحقيها . .

قال خالد بقلق :

ـ بابا ، بقي أن نعثر على العم شعبان .

تصلب وجه المفتش وقال له :

ـ وأين ذهب شعبان حتى نعثر عليه ؟

أخبره خالد بما كان من اختطاف المجرم له ، فقال المفتش :

ـ ماهر ، أسرع بإحدى السيارات الى هذه التلال وابحث عن الرجل ، واترك هنا بعض الرجال لحراسة المجرم والوحش .

والتفت الى خالد وقال معاتباً :

ـ خالد ، بالرغم من العمل الرائع الذي انجزتموه فأنني غير راض أبداً عن تصرفكم ! لقد حذرتكم من الاقتراب من عش الثعلب لمعرفتي بأنه وكر للمجرمين والهاربين من وجه العدالة ، ومع ذلك خالفتم أوامري ، وانغمستم حتى آذانكم في هذه المغامرة الخطرة .

أطرق خالد خجلاً وقال في شجاعة :

ـ أنا المسؤول عن ذلك يا بابا . . وأنا وحدي الذي استحق اللوم .

واقبلت الفرقة كلها تدافع عن رئيسها ، فلم يسع المفتش إلا أن يقول ضاحكاً :

ـ سأصفح هذه المرة على أن تكون المرة الأخيرة .

وبعد قليل عاد النقيب ماهر . ومعه العم شعبان ، فأسرعوا إليه يستقبلونه . كان يرتعد من شدة الخوف ، وما كاد يرى المفتش حتى قال :

ـ لقد هاجمني المجرم وأنا نائم . . وأقسم لو أني كنت يقظان لحطمت عظامه .

ضحك المفتش وطيب خاطره وهو يقول :

ـ يا عم شعبان ، قلت لك إن سنك لم تعد تسمح لك بالعمل الخطر الشاق في هذه المنطقة . . ما رأيك في العمل على احدى سيارات التكسي في المدينة ؟

تحسس العم شعبان آثار اللكمات التي سددها المجرم إلى فكيه وقال :

ـ سأفعل ، واذا اعترضت أم قاسم فسأكيل لها أمثال هذه اللكمات !

لا . لن أفعل . . لسوف أقنعها بالتي هي أحسن .

تمت